جامعة
بنغازي الحديثة

مجلة جامعة بنغازي الحديثة للعلوم والدراسات الإنسانية

مجلة علمية الكترونية محكمة

Journal of Benghazi Modern University of Sciences and Humanities

العـــدد الحادي عشر

لسنة 2020

حقوق الطبع محفوظة

شروط كتابة البحث العلمي في مجلة جامعة بنغازي الحديثة للعلوم والدراسات الإنسانية

1- الملخص باللغة العربية وباللغة الانجليزية (150 كلمة).
2- المقدمة، وتشمل التالي:
- ❖ نبذة عن موضوع الدراسة (مدخل).
- ❖ مشكلة الدراسة.
- ❖ أهمية الدراسة.
- ❖ أهداف الدراسة.
- ❖ المنهج العلمي المتبع في الدراسة.

3- الخاتمة. (أهم نتائج البحث - التوصيات).
4- قائمة المصادر والمراجع.
5- عدد صفحات البحث لا تزيد عن (25) صفحة متضمنة الملاحق وقائمة المصادر والمراجع.

القواعد العامة لقبول النشر

1. تقبل المجلة نشر البحوث باللغتين العربية والانجليزية؛ والتي تتوافر فيها الشروط الآتية:

- أن يكون البحث أصيلاً، وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها من حيث الإحاطة والاستقصاء والإضافة المعرفية (النتائج) والمنهجية والتوثيق وسلامة اللغة ودقة التعبير.
- ألا يكون البحث قد سبق نشرة أو قُدم للنشر في أي جهة أخرى أو مستل من رسالة أو اطروحة علمية.
- أن يكون البحث مراعياً لقواعد الضبط ودقة الرسوم والأشكال - إن وجدت - ومطبوعاً على ملف وورد، حجم الخط (14) وبخط (Arial 'Body') للغة العربية. وحجم الخط (12) بخط (Times New Roman) للغة الإنجليزية.
- أن تكون الجداول والأشكال مدرجة في أماكنها الصحيحة، وأن تشمل العناوين والبيانات الإيضاحية.
- أن يكون البحث ملتزما بدقة التوثيق حسب دليل جمعية علم النفس الأمريكية (APA) وتثبيت هوامش البحث في نفس الصفحة والمصادر والمراجع في نهاية البحث على النحو الآتي:
- أن تُثبت المراجع بذكر اسم المؤلف، ثم يوضع تاريخ نشرة بين حاصرتين، ويلي ذلك عنوان المصدر، متبوعاً باسم المحقق أو المترجم، ودار النشر، ومكان النشر، ورقم الجزء، ورقم الصفحة.
- عند استخدام الدوريات (المجلات، المؤتمرات العلمية، الندوات) بوصفها مراجع للبحث: يُذكر اسم صاحب المقالة كاملاً، ثم تاريخ النشر بين حاصرتين، ثم عنوان المقالة، ثم ذكر اسم المجلة، ثم رقم المجلد، ثم رقم العدد، ودار النشر، ومكان النشر، ورقم الصفحة.

2. يقدم الباحث ملخص باللغتين العربية والانجليزية في حدود (150 كلمة) بحيث يتضمن مشكلة الدراسة، والهدف الرئيسي للدراسة، ومنهجية الدراسة، ونتائج الدراسة. ووضع الكلمات الرئيسية في نهاية الملخص (خمس كلمات).

3. تحتفظ مجلة جامعة بنغازي الحديثة بحقها في أسلوب إخراج البحث النهائي عند النشر.

إجراءات النشر

ترسل جميع المواد عبر البريد الالكتروني الخاص بالمجلة جامعة بنغازي الحديثة وهو كالتالي:

- ✓ يرسل البحث الكترونياً (Word + Pdf) إلى عنوان المجلة info.jmbush@bmu.edu.ly او نسخة على CD بحيث يظهر في البحث اسم الباحث ولقبة العلمي، ومكان عملة، ومجاله.
- ✓ يرفق مع البحث نموذج تقديم ورقة بحثية للنشر (موجود على موقع المجلة) وكذلك ارفاق موجز للسيرة الذاتية للباحث إلكترونياً.
- ✓ لا يقبل استلام الورقة العلمية الا بشروط وفورمات مجلة جامعة بنغازي الحديثة.
- ✓ في حالة قبول البحث مبدئياً يتم عرضة على مُحكِّمين من ذوي الاختصاص في مجال البحث، ويتم اختيارهم بسرية تامة، ولا يُعرض عليهم اسم الباحث أو بياناته، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث، وقيمته العلمية، ومدى التزام الباحث بالمنهجية المتعارف عليها، ويطلب من المحكم تحديد مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة من عدمها.
- ✓ يُخطر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها خلال شهرين من تاريخ الاستلام للبحث، وبموعد النشر، ورقم العدد الذي سينشر فيه البحث.
- ✓ في حالة ورود ملاحظات من المحكِّمين، تُرسل تلك الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة بموجبها، على أن تعاد للمجلة خلال مدة أقصاها عشرة أيام.
- ✓ الأبحاث التي لم تتم الموافقة على نشرها لا تعاد إلى الباحثين.
- ✓ الأفكار الواردة فيما ينشر من دراسات وبحوث وعروض تعبر عن أراء أصحابها.
- ✓ لا يجوز نشر إي من المواد المنشورة في المجلة مرة أخرى.
- ✓ يدفع الراغب في نشر بحثه مبلغ قدره (400 د.ل) دينار ليبي إذا كان الباحث من داخل ليبيا، و (200 $) دولار أمريكي إذا كان الباحث من خارج ليبيا. علماً بأن حسابنا القابل للتحويل هو: **(بنغازي – ليبيا - مصرف التجارة والتنمية، الفرع الرئيسي - بنغازي، رقم 001-225540-0011. الاسم (صلاح الأمين عبدالله محمد)**.
- ✓ جميع المواد المنشورة في المجلة تخضع لقانون حقوق الملكية الفكرية للمجلة.

info.jmbush@bmu.edu.ly

00218913262838

د. صلاح الأمين عبدالله
رئيس تحرير مجلة جامعة بنغازي الحديثة
Dr.salahshalufi@bmu.edu.ly

العلم بين القداسة والريبة الأخلاقية

د. إبراهيم حسين إبراهيم الشريف

(عضو هيئة التدريس بدرجة أستاذ مشارك بقسم الفلسفة - كلية الآداب - جامعة بنغازي - ليبيا)

المستخلص:

قد يرنو إلى العلم النظري البحت تهم أخلاقية بعينها كونه مسؤول عن نشر الجهل والأمية في أوساط المجتمعات نتيجة تفسيرات خاطئة لمسيرة العلم، بسبب تلقين المجتمع قواعد وأساسيات دون التأكد من صحتها كفروض علمية تخلو من أي دليل قائم على الملاحظة لإثبات صحتها أو رؤية ميتافيزيقية قائمة على تخمينات عارية من الصحة. أو تفسيرات عقائدية لا تنطبق علي تفسيرات العلمية لا من قريب ولا من بعيد كقولنا مثلا على نظرية بطليموس "إن الأرض مركز الكون - وأن كل المجموعة الشمسية في المجرة بما فيها الشمس تدور حول الأرض" تراه ما هي الدلائل العلمية أو الميتافيزيقية التي أعتمد عليها بطليموس في نظرية لإثبات صحتها. وما هي الفروض والملاحظات التي ثمنها في تلك النظرية حتى تصبح قانون يعمل به في الأنساق العلمية لتظهر كنظرية علمية يعتد بها في ذلك العصر. هذه **النقطة الأولي. النقطة الثانية.** هل أدلة الكتب السماوية يعتد بها كأدلة علمية يؤخذ بها في مصاف الأدلة والفروض العلمية في البحث العلمي وصياغة النظريات والقوانين العلمية؟

النقطة الثالثة. هل توجد نظريات مشابهه لنظرية بطليموس ذات فروض علمية أو حتى ميتافيزيقية أثبتت نجاحها على الصعيد العلمي في تلك الحقبة.

النقطة الرابعة. في معايير وأنساق القيم الأخلاقية أن التضليل والأبداء بمعلومات خطأه وغير صحيح يعد عمل غير أخلاقي مع العلم بأن صاحب هذه المعلومة على يقين بخطأ نظريته. ولو كان حسن النية.

يعد ذلك في الأنساق العلمية تضليل متعمد بموجبه تسحب الثقة من العالم ويتم إقالته وأعفاه من مهام عمله. لهذا نحاول عدم تبرأه العلم النظري من مغالطات علمية غاية في الجسامة من ريبة أخلاقية كانت سباباً في ضياع حقبة زمنية خالة. فلا يبرا العلم النظري من أي ريبة أخلاقية لأنه حملها حينا من الدهر.

Abstract.

That may aspire to purely theoretical science with specific ethical charges, as it is responsible for spreading ignorance and illiteracy among the tentacles as a result of erroneous interpretations of the course of science, due to the community's indoctrination of rules and fundamentals without verifying their validity as scientific hypotheses devoid of any evidence based on observation of their validity or an existing metaphysical vision My guesses are false. Or doctrinal interpretations that do not apply to scientific explanations, neither from near nor from afar, such as we say, for example, to Ptolemy's theory, "The Earth is the center of the universe. And that all the solar system in the galaxy including the sun revolves around the earth" You see what are the scientific or metaphysical evidence that Ptolemy relied on in Theory to prove its correctness. What are the assumptions and observations that he valued in that theory so that it becomes a law that works in the scientific systems to appear as a scientific theory that is reliable in that era. This the second point: Is the evidence of the divine books reliable as scientific evidence to be taken in the ranks of scientific evidence and assumptions in scientific research and formulating scientific theories and laws? The third point. Are there theories is with scientific or even metaphysical assumptions that proved successful on the scientific level in that era? The fourth point in the standards and patterns of moral values is that deceivingmilar to Ptolemy's theory and showing information about his mistakes is incorrect after an immoral act, knowing that the owner of this information is certain that his theory is wrong. And if after that good faith in the scientific systems was deliberate misleading whereby confidence is withdrawn from the world, and he is dismissed and exempted from his work tasks, then we try how theoretical science has absolved him of scientific fallacies with a very serious moral suspicion that were the cause of suspicion the loss of an empty period of time, so theoretical science does not excuse any Moral because he carried it from time to time's first point.

ـ مقـدمة:

في سياق الأهداف المرجوة للعلم النظري لتحسين نمط النتاج العلمي للرفع من مستوي الحياة والطبيعة للإنسان، نحاول العمل على تحمل العلم مسئوليته وتحليل فروضه وملاحظات وأثبات قوانينه التي أفرزت إشكاليات وقضايا أخلاقية عند مساسه بالقاعدة البيانية لمنظومة الإنسان القيمية نتيجة لآراء بعض العلماء القائلين بتبرائه العلم من التهم الأخلاقية وعدم تحمله أي أحكام معيارية لأن العلم وسيلة معرفية تنتج فروضاً توظف أساساً في تحقيق غايات نظرية، ويرون أن بموجب ذلك أن العلم برئ من التهم الأخلاقية ذات الطابع الخلافي التي توجه إليه. هنا مكمن الخلاف بين الباحث، وبين ما يرنو إليه مناصرة العلم النظري ببراءته من التهم الأخلاقية التي نسبت إليه في حقبة زمنية فائتة. بمعني يرنو الباحث إلى العلم النظري تهمة أخلاقية بعينها كونه مسؤول عن قصد أو بدونه عن نشر فروض عدها علمية قائمة على الاستنتاج التخميني الميتافيزيقي أدت إلي تفسيرات خاطئة لمسير العلم عدة قرون كان بموجبها طمس حقائق وفروض أخرى غاية في الراهنية والصدق ودقة الملاحظة، وهذا يعد تضليل متعمد لخدمة تيارات بعينها بغية السيطرة على العقول والفكر. وتوجيهه نحو آلية واحدة في الحياة. من وجهة نظر العلم والأخلاق والأعراف الإنسانية إلا يعد ذلك تجهيل مبرمج وانتهاكا أخلاقيا موجه بمسار العلم النظري وانتهاكا للموضوعية العلمية إلا يرتهن العامل بالمجال العلمي مبدأ الإلزام الخلقي الذاتي عند أمتهانة أي عمل علمي داخل مجاله.

ـ العلم النظري سمة العصر اليوناني:

يعد العلم التطبيقي في عصر اليونان نقيصة توجه إلى الفيلسوف أو العالم عندما يلجأ إلى التدليل على صحة نظريته. ويعتبر ذلك ضعف غير مستحب في العلم النظري سمة ذلك العصر.

فالعلم النظري القائم على التخمين والاستنتاج العقلي المنظم هو أهم صفات العصر اليوناني رغم احتسابهم بعض التجارب العلمية في إثبات نظريتهم مثل قضية تاج الملك وأرخميدس.

إلا أنه يشار إليه كعملية حسابية ليست ذات تأثير على النظرة العامة لمسيرة العلم النظري البحت آنذاك كما أننا نشير إلى وجود بعض ممارسات العلم التطبيقي في عصر اليونان، لكن طبيعة البيئة الاجتماعية للمجتمع الطبقي اليوناني الحديدية جعلتهم يعولون على العبيد في تطبيق شؤون حياتهم وترفعهم عن العمل اليدوي التطبيقي ـ لذلك كانت نظرتهم للحياة والطبيعة والكون نظرية بحته هدفها اللذة العقلية فقط، "المعرفة لأجل المعرفة فقط". أي المعرفة لذاتها فأهمل العلم التطبيقي وأصبح العلم النظري هو الداعمة الرئيسية للمعرفة والعلم ومحبة الحكمة كما يروجون.

وأصبحت نظرتهم إلى الحياة أحادية الجانب لا ترتقي إلى مصاف التقدم الملموس الذي نراه في عصرنا الراهن، متخذين من النظرة الفلسفية والعلم النظري المنظور الأوحد للحكم على معارفهم وتطلعاتهم لفهم الحياة والإحياء.

فترفعهم واحتكارهم المعرفة والعلم جعلهم يتوهمون أن العلم متعة، أو حيلة أو موضوعاً للتأمل، وليس وسيلة لتغيير ظروف الحياة إلي الأفضل.

فقد أشتغل اليونانيون بالعلوم البحتة وطلب المعرفة لذاتها من مصادر قديمة كالمصريون والبابليون والإغريق والعرب بحثوا عن الحقيقة الموضوعية شغفا لها ورغبة فيها.

وكانت لآراء اليونان من ناحية أخرى دور كبير في عرقلة مسيرة العلم لقرون عديدة كما برز ذلك في أقوال علمائها وفلاسفتها.

فكان مصدر المعرفة ضبابية غير صافية بسبب "قول حكماء الإغريق: بأن الاتحاد بالجسد لا يسمح للروح بالعثور على المعرفة"[1] .

فكثيراً من علماء الإغريق يدعون إلى التأمل فقط وهذا ما لم يفهمه في حينه أصحاب الآراء المتشددة التي اتخذت من آراء أرسطو دعما لها لنصرة كتابها المقدس .

لذلك كانت هذه الأقوال بمثابة شلل حقيقي يصيب حركة العلم رغم اكتسابها في عصر اليونان مهارة جديدة تذهب بالإفادة والعقول في قوة تغييرها ورونق منطقها.

لهذا لم يشهد العالم دفعة قوية إلى الأمام ولا تطبيقا عاما للعلم على الحياة، فتوقف العلم وعجز أن يصبح قوة حقيقية في حياة المجتمع.

يضاف إلي ذلك ظهور ما مفاده "بأن العلم حلقة من الدراسات الليبرالية اختصت بها صفوة ممتازة، وأصبح العلم متعة أو حيلة أو موضوعا للتأمل ولم يعد وسيلة لتغيير ظروف الحياة وفي تلك الفنون القديمة التي تهدف إلى البقاء على المجتمع - المعمار والطب وما شابههما كانت محترمة بالكاد. ولم يكونوا يتناولون هذه الفنون إلا بالدرجة التي تجعل من ممارسيها أصحاب معرفة نظرية بحته تمكنهم من الإشراف علي عمل الآخرين "[2]

في الحقيقة إن تعلق اليونان بالنظرة التأملية الخالصة راجع إلى عدم الطمأنينة النفسية، التي كانت مصدرها فساد العقيدة الدينية وفساد القانون الأخلاقي المعمول به لديهم، لذلك عملوا من خلال التأمل الخالص إلى معالجة ذلك الفساد بشي من التحليل والنقد للحياة والكون، لعل ذلك يقودهم إلى بر الأمان. كما تخيلوا عالم للمثل والقيم ليجدوا فيه الراحة النفسية والإجابة على كثير من الأسئلة التي كانت تدور في أذهانهم، ولو أنهم أكدوا هذه النظرة بمعالجة تطبيقية لكان لهم الخلود على محراب العلم، لكن التغير هو سمة العلم الذي لا وطن له وقد يستحق علماء اليونان المدح والثناء على اكتشافهم نصف الحقيقة العلمية، ولتأكيدهم على سمو العلم النظري والتمسك به لفهم حقائق العلم وبث نور المعرفة، إلا أننا ننظر إلى هذا النور من وجهة نظر عصرنا على أنه غير مكتمل.

وهو بمثابة قبس من نور أخذه علماء العصر الحديث والمعاصر ليهتدوا به في طريق العالم المجهول. هذا القبس هو حضارة اليونان العلمية التي حاول العلماء المعاصرون ترجمته إلى واقع علمي، فقد تناول علماؤنا الحضارة اليونانية بالدراسة والتحليل فوجدوا: "أن التأكيد المتطرف للعلم النظري، على حساب التطبيق العملي، ربما كان راجعا إلى أحد عاملين: فمن الممكن أن يكون مرتبطا بنظرة إلى العالم المادي على انه عالم ناقص، والى العالم الروحي أو العقلي على انه عالم الكمال، وهي نظرة ربما كانت قد تسربت إلى الفكر اليوناني عن طريق معتقدات شرقية قديمة كان لها تأثيرها في كثير من اليونانيين - ومن المعروف أن فيثاغورس نفسه كانت له طريقه أشبه بالطريقة الصوفية - تأثرت طقوسها وشعائرها وتعاليمها بالعقائد الشرقية تأثيرا بالغا - كما أن (أفلاطون) سار في اتجاه مماثل. هذه الثنائية الوجودية عالم رفيع، غير عادي، وعالم وضيع، مادي قد انعكس علي نظرة اليونانيين إزاء العلم، وأدت إلى الاعتقاد بأن العلم الدير بهذا الاسم هو العلم العقلي، وأن مجرد اقتراب العلم من العلم الطبيعي ومحاولته حل مشاكله، يقضي علي كل ما هو رفيع في هذا العلم"[3].

لقد اتضح لعلماء عصرنا أن إثراء الفكر الإنساني من خلال النظرة التأملية الخالصة لا يؤدي بنا إلى تحقيق نصر كبير في المجال العلمي في وقتنا الحاضر. كما تبين للعلماء المحدثين والمعاصرين، مع تقدم العلم، أن اليونانيين قد حادوا عن الصواب عندما ربطوا بين المعرفة والحقائق النظرية ولم تتمكن البشرية من إزالة هذا التصور الخاطئ إلا بعد مضي وقت طويل كان فيه العلم شبه متوقف، لذلك عمل رجال النهضة على تخليص الفكر الإنساني من قبضة اليونان الحديدية التي قيدت العلم لقرون عديدة.

فعندما أكدوا المفكرون اليونانيون أن "هدف" العلم هو المعرفة النظرية التي تسير الظواهر وفقا لها وليس القدرة علي استغلال هذه الظواهر والانتفاع بها في المجال التطبيقي كانوا في الواقع يؤكدون سمة أساسية من سمات العلم. ولكنهم لم يكتفوا بذلك بل تمسكوا بالتأكيد المضاد وهو أن العلم لا علاقة له بمجال التطبيق ولا صلة له بالعالم المادي بأكمله، وإنما الواجب أن يكون العلم (عقليا) فحسب فالمثل الأعلى للعالم في نظرهم هو المفكر النظري الذي يستخلص الحقائق كلها بالتأمل النظري أما محاولة تدعيم هذه الحقائق بمشاهدات أو ملاحظات أو تجارب نجريها على العالم المحيط بنا فكانت في نظرهم خارجة عن العلم بل إنها تحط من قدر العلم"[4]

لقد رأى اليونانيون أن إعطاء علم رفيع كالهندسة مثلا، صورة محسوسة يمكن رؤيتها بحاسة العين مثلا، هو في ذاته إجراء يحط من قيمة العلم ومكانته العالية. فيصبح جزءاً من عالم الأشياء المرئية والمحسوسة بينما في الحقيقة يجب أن تظل حقائق الهندسة عقلية على الدوام ويظل العلم محتفظاً بمكانته.

إن تأكيد اليونان على الجانب النظري وحده للعلم شلَّ حركة التطور في العصور الوسطي.

- الخيار العلمي النظري نموذجاً:

أستوعب العلماء والفلاسفة على مر عصور عديدة، أن السبيل الأمثل لتعود العقل البشري اكتساب طابع التفكير النظري يتمثل في آراء أرسطو ونظريات أخرى عدة عقيمة استشهدت بالدين لتظل أطول قدر ممكن من الزمن وكان لذلك مردود بالغ الأثر في عرقلة الحياة العلمية حينا من الدهر.

فلقد أتي على أنصار (بطليموس) حين من الدهر أيقنوا فيه يقينا لم يعتبره أدنى اضطراب بأن الأرض مركز الكون بأسره وأن الشمس - كغيرها من الأجرام السماوية - تدور حولها في فلك دائري.

ولقد كانت بعض شواهدهم على صحة هذه النظرية تتعلق بمبادئ ميتافيزيقية (أوغيبية) لم يشكو لحظة في صحتها. من بينها شاهد يستند إلى نص في الإنجيل مفاده أن الرب قد أمر الشمس بأن تتوقف عن الحركة - مما أكد لهم أنها تدور ولا سيما وأن تحقيق ذلك الأمر كان خرقاً لناموس كوني - وآخر يستند على فكرة أرسطية مفادها أن الدوائر هي أكمل الأشكال الهندسية وأن الأجرام - باستثناء الأرض قد خلقت من مادة أثيرية تمكنها من أن تسبح في أفلاكها.[5]

ويري فيلسوف القرن الثاني عشر الميلادي سان بونافنتورا (1221-1274م) الذي استبق ثورة العلم ونتائجها الفكرية عندما قال "الإيمان من أجل الفهم، فالعلم بوصفه معرفة إنسانية، يجب أن يعتبر شرعياً، رغم كونه ظل خاضعاً ولمدة طويلة للحكمة الإلهية."[6]

إن دعوة بونافنتورا وجدت آذانا صاغية في عصر النهضة. وفي حقيقة الأمر لم يقصد بونافنتورا الحكمة الإلهية تم استيعابها بصورة مشوهة قضت على كل شريعة للعلم، لذلك دعى لفهم الإيمان على الوجه الصحيح لأجل قيام علم شرعي يفسر قوانين الكون ويعمل من خلالها.

وفي سياق ما يرمي إليه بونافنتورا نجد العلماء أمثال كوبرنيقوس Copernicus (1543-1743م) وكبلر kepler (1571-1630م) وتيكوبراهه (1536-1601م) عملوا على تحديد الفكرة الجوهرية التي وضعوها وهي وضع القوانين الرياضية التي تحكم حركة الكواكب بعقلانية لإضفاء الشرعية على العلم ودمجها في مناهج البحث العلمي. كما يمكن جاليليو Galileo (1564-1642م) من صياغة قوانين رياضية تحكم حتمته الحركة على الأرض.

وتمكن نيوتن (1674-1727م) من ضم الحركتين معا السماوية والأرضية - في نظرية واحده جمعت الكون بأسره.[7]

لهذا عملوا على تحرير العلم من القيم الدينية البالية المترهلة التي كانت بمثابة حجرة عثرة أمام التقدم الفكري والعلمي فلم يكن الهدف من ذكر التجرد والنزاهة راجعا إلى نفسية العالم التي تتحكم في توجيه سير النظرية أو تحريف فروضها العلمية حسب أهوائهم.

ذلك لأن العلم الوليد قام على أسس عقلانية سليمة لا ينقصها التحليل والنقد، ولكن دعوة العلماء كانت تنصب على استبعاد التدخل المستمر من قبل رجال الدين والسلطة في تسيير تلك النظريات والاكتشافات حسب ما يتفق مع أغراضهم الدنيوية وليست الدينية.

لذلك قيل: "إن هدف العلماء الفعلي هو إيضاح أن العلم نشاط عقلي يقوم به الإنسان من أجل بناء عالم يكون على صورة العقل نفسه - رغم كون العلم مخاطرة فكرية هائلة يقوم بها ذلك الكائن الناطق الذي يعشق الصعاب ويهوي المجاهل، لكي يستمتع بلذة الفهم ويستمري عذوبة الكشف عن المجهول! "حقا إنه لابد من أن يكون للعلم غاية، ولكن العالم حين يعمل، ويجاهد ويشقي، فإنه إنما يريد من وراء هذا كله أن يري، أو على الأقل كما قال (بو انكارية): "أن يتمكن غيره يوما من أن يروا."[8]

من هنا نستنتج إن عمل العلماء ونظرتهم للحقائق الكونية والطبيعية في الحياة تمهد للأجيال القادمة من أجل فهم أفضل للحياة وتفسيرها على نحو أكثر دقة فمن واجب الأمانة والنزاهة العلمية والموضوعية العلمية والحياد العلمي والإلزام الذاتي لجوهر أخلاقيات العالم، "إذا نظر إلى ظاهرة من ظواهر الطبيعية أن يصفها كما يجدها كحقيقة واقعة في الخارج."[9]

صحيح إن للعلم منزلة لا يماري فيها ولكن ذلك لا يتمثل في الحقائق الخارجية فحسب، بل أن هذه المنزلة لا يرتقي إليها العلم لولا تفسير ذلك الواقع في دائرة الذهن البشري الذي هو مصدر الفهم والتفسير والتحليل المنطقي السليم. فلولا القيم النبيلة في نفس كل عالم من أمانة ونزاهة ومصداقية في نقل الحقائق لما وصلت إلينا أي حقيقة خارجية.

وقد جرت العادة بين العلماء عند تناولهم العلم أن يكون التزامهم ذاتيا دون صياغة قوانين أو دساتير، لأنهم يكبحون جماح أنفسهم بالتحكم في ضمائرهم الذاتية وهذا ما دفع العلم إلى الموضوعية والتقدم وذلك ما لم نلتمسه في العصر الوسيط.

- العلم يُرفض لأسباب أخلاقية:

يري بعض العلماء أن قيام القائمين بممارسة العلم والعمل على تفسير فروضه والتنبؤ بها دون الركون إلى صحة تجارية لأنها تعتمد على فروض ميتافيزيقية عارية عن الصحة يتعلق بتشكيك معرفي، ذلك أن مزاعم تلك النظريات تفضي لموضع خلق جدل خلافاً لذلك، فإن السؤال الأخلاقي يفترض في هذا السياق عدم قدرة العلم على دعم تلك المزاعم، بمعني إن التيقن من عدم صحة الباحث في صدق أو تحري الصدق في فروضه المعرفية لبناء نظرية ما، يجعل الركون إلى الموضوعية العلمية تتنافي والأخلاق التي يعتد بها العالم ويعد هذا النهج الذي يتبناه كثير من أنصار الأخلاق لا يعد دوجماطيقيا بل معرفيا. وذلك كونه يعول في رفض العلم على معطيات إمبيريقية غير مادية. باختصار إننا نرفض العلم لأسباب أخلاقية ونؤكد شهادة الحس والعقل بشواهد مشوهه لا تمت للعلم بأدنى صلة، لكنه تؤكد على ميؤول ذاتية وأهواء شخصية لإرضاء طرفاً ما.

إن الاستعاضة بالتبرير الديني يؤدي سلب المزاعم المعرفية الصحيحة من أي نظرية تؤيد الواقع، فالعلم مشروع بشري ولابد له أن يخضع إلى قيم ومبادئ بشرية[15]. فالعلماء

والمجتمع لا يرفضون العلم ولكن يرفضون من يشوهون العلم وما يرمي إليه من قيم نبيلة تخدم البشرية.

ويبدو أن النظرة العلمية تختلف عندما ينظر لها عالمٌ فيلسوف فيكون أكثر إنسانية وعلماً وحكمة من نظرة عالم ليس فيلسوف.

- إبعاد التفسير الديني للعلم:

إن قضية التفسير الديني للعلم إحدى القضايا ذات الأبعاد الخطيرة على البناء العقائدي عند الناس. فقد أبدي فقهاء الأديان رغبتهم في تحفيز مجمعاتهم لإثبات مصداقية الأديان، وصلاحيتها لكل زمان ومكان. إلا أن مسلكهم كما يبدو كان غير دقيق، فقد انحرفوا إلى تفسير النظريات والاكتشافات العلمية التي تنسجم بشكل سطحي مع بعض الآيات والإصحاحات التي جاءت في الكتب السماوية، اعتقاداً منهم أنهم يخدمون الأديان ويعمقون مبادئها في نفوس الناس، غير مدركين بأنهم زرعوا بذور الشك في نفوس العامة، لأن الاكتشافات والنظريات العلمية غير معصومة من الخطأ وأنها تتغير كلما جد جديد في العلم حسب تطورات الأبحاث العلمية في كل عصر.

لذلك "أعقب هذا الشك الذي عم الناس تحمس بعض المتدينين وتعصبوا للدين وقاموا في طريق وسط بين الجزبين وسعوا في إيجاد التوفيق بين العلم والعقائد ولكن انتهي الأمر باتساع مسافة الخلاف بين العلم ومقررات الدين ففشلوا فشلاً لم يقوموا بعده."[11]

إن محاولة ربط الدين بالنظريات العلمية .. هو أخطر ما سنواجهه ذلك أن بعض العلماء يندفعون لجعل إنتاجيات النظريات العلمية منسجمة مع الدين، الأمر الذي قد يوقعهم في تناقض مستقبلا. وقد قام العلماء ورجال الدين في العصور الوسطي بدمج آراء أرسطو ونظرية بطليموس حول الكون مما أدى إلى اعتقادات خاطئة في علم الفلك وتشويه الكتاب المقدس .. وهم في اندفاعهم هذا يتخذون خطوات متسرعة ويحاولون إثبات الدين بالعلم، فالدين الحق ليس في حاجة إلى العلم ليثبت.

لقد عمل العلماء في كل مجال من مجالات العلم على إثبات أن الدين هو الدليل الحقيقي على صحة أو عدم صحة العلم .. فالعلم الذي لا يتناقض مع الدين يكون اعتقاد صحيح، اللهم إلا إذا كان هذا الدين قد تعرض للتحريف على يد العابثين باسم الدفاع عن الإيمان. فالدين الحق .. لا تغيير فيه ولا تبديل .. ومن هنا فإن خطورة ربط الدين بنظريات علمية به إجحاف في حق الدين. بل هذا الربط من شأنه إضعاف موقف المفسر ووضعه في حرج شديد إذا كان من أعلام الفقهاء أصحاب الرؤية النافذة والرأي السديد.

بل الأدهى من ذلك ما بعد ذلك، وهو وقوع الشك في قلوب البسطاء من العامة، وهذا من شأنه أن يحدث هزة عنيفة في معتقدات الآخرين، ويولد فساداً في العقيدة، وانحلالاً في القيم والأخلاق التي يدعو إليها الكتاب المقدس، لأن من شأن الدين أن يغرس الفضائل في نفوس الأفراد. إن هدف الدين القويم هو إصلاح أحوال القوم الذي أنزل إليهم والرجوع بهم إلى الطريق السوي.[12]

من هنا يجب التأني وعدم التسرع في إصدار الأحكام علي ما يأتي به العلم من اعتقادات ومحاولة ربطها بكتاب الله.

لقد كانت الرؤية معتمة في تلك العصور التي سادها الجهل والتعصب بسبب "مسخ العلم واقتصاره على فئة الرهبان في الأديار - فكان علمهم قائماً على النقل والجدل بعيداً عن الابتكار، فكل نزعة نحو الاستقلال في الفكر محكوم عليها بالانتهاء."[13]

لهذا أدرك العلماء أن سبب التأخير الذي يعاني منه البشر عبر العصور، هو الدين لأن الناس ابتعدوا كثيراً عن جوهرة لذلك اصبح دين اليوم لا علاقة له بالدين الماضي.

إن تشويه الدين وتحريفه ينتج عنه نتائج وخيمة إذ هو الدستور الذي لا حياة لجماعة بدونه لذلك كانت إجابتهم "ليس هناك إلا نشر العلم وقيم النهضة، من تحرر عقلي وإدانة للروح الجبرية والاتكالية ورفض الزهد الصوفي الذي يعكس الرغبة في الانسحاب من العالم بدل الانخراط وبذل الجهد."[14]

من خلال تتابع هذه الأحداث على ساحة الفكر كان مخاض متعسرا في خلق ثورة علمية تصحح الأوضاع نهائياً، فقد كان التفكير يسير علي وتيرة واحدة لعدة أجيال سواء من قبل العلماء أو الفلاسفة، وكان الهدف هو الوصول إلي تعميمات، يعمل بموجبها العلماء لتفسير الكون والطبيعة تتكون مفهومة ومعقولة بالنسبة لهم وكان للثقافة اليونانية والرومانية أكبر الأثر في تشكيل عقلية ذلك العصر .

وتجدر الإشارة إلى أن الواقع قد أثبت أن أكثر الناس فهماً لدينهم، هم العلماء ورجال الفكر، لأن انخراطهم في تحليل وتشريح الطبيعة والكون والبحث عن المعرفة جعلهم رهباناً بغير صوامع، وكانت اعترافاتهم في كل مناسبة تبين مدي عمق إيمانهم بالله المستمد من معرفتهم للطبيعة والأسرار الإلهية في الكون وفيما يلي بعض الآراء التي تدل على الإيمان العميق الناشئ من التعمق في النشاطات العلمية.

يقول عالم الفيزياء والفلكي الإنجليزي آرثورستانلي اريجتون (1882-1946م): "إن الفيزياء الحديثة تقودنا بالضرورة إلى الله ولا تبعدنا عنه."[15]

أما العالم الكيميائي الفرنسي على جائزة نوبل عن عام 1912م بأول ساباتير يكتشف الذين قائلاً: "أن إيقاف الدين والعلم الطبيعي وجها لوجه، لدى أناس أسئ تدريسهم هو في الأول كما في الأخر علم."

إن ديناً وعلماً طبيعياً من طراز تفكير واحد حين يجب أن يطرقاً أيضاً سبيلين مختلفين بطبيعة الحال وليس مرخصاً لهما - كما يريد تخمينا - أن يحل الواحد مكان الأخر فإن كلاً منهما مباشرة يثبت صحة رأي الآخذ أكثر بكثير.[15]

- الخاتمة:

لقد تبين لنا أن النظرية العلمية بقوانينها المطلقة في الكون والطبيعة لها قداسة علمية كونها ذات شمولية معرفية، وكونها لم تمس من قبل البشر بانتهاك عذريتها بفروض خاطئة أو بميول شخصي أو بمعتقد ديني، فالريبة الأخلاقية تتطرق إلى كيان العلم النظري عندما تنتهك عذريته من قبل العالم بخرق الحياد العلمي بانتهاك النزاهة العلمية للموضوعية العلمية في المنهج العلمي للمحتوي المتمثل في نقل معرفة علمية غير قائمة علي صياغة فروض علمية وملاحظة دقيقة وتجربة تثبت صحة فروض مزاعمة المعرفية. أو تخمين فرضي استنتاجي قائم على مزاعم معرفية قبلية صادقة، غير ذلك يعد هدم لمحتوي قدسية العلم. وهذا ما يعرف في العلم النظري بهدم المحتوي العلمي داخل النظرية العلمية. وهو في حد ذاته خيانة علمية لمعايير البحث العلمي النظري والأخلاقي.

الهوامش

1- علي مصطفي بك مشرف، نحن والعلم، مكتبة الجبل الجديد، القاهرة، 1945م، ص12.

2- فارنتن، بنيامين، العلم الإغريقي، الجزء الثاني، تعريب: شكري أحمد سالم، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، 1959، ص174.

3- فؤاد زكريا، التفكير العلمي، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1985م، ص137.138

4- المرجع السابق، ص136.

5- الحصادي، نجيب، نهج المنهج، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، 1991م، ط1، ص31.

6- برترندراسل، حكمة الغرب، تعريب: زكريا فؤاد، سلسلة عالم المعرفة (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - ديسمبر 1973م، العدد9، ص9.

7- يُمني طريف الخولي، فلسفة العلم من الحتمية إلى اللاأحتمية، الناشر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م، ص25-26.

8- إبراهيم، زكريا مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر - القاهرة، 1971م، ص139-138.

9- علي مصطفي مشرف بك، نحن والعلم، مكتبة الجيل الجديد، القاهرة، 1945م، ص15.

10- جربيس، موريس كافينج، المبادئ الأساسية للفلسفة، الجزء الأول، تعريب إسماعيل المهدوي، القاهرة،1997م، ص41.

11- محمد فريد وجدي، الإسلام في عصر العلم، دار الكتاب العربي، بيروت، ب ت، ط3، ص85.

12- تنظر محمد الشعراوي، معجزة القرآن، مكتبة التراث الاسلامي القاهرة، 1988م.

13- سلامة موسي، حرية الفكر، الجزء الثاني، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م، ط2، ص113.

14- غليون برهان، اغتيال العقل، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1987م، ط2، ص186.

15- هونكه زيغريد، العقيدة والمعرفة، تعريب: عمر لطفي العالم، دار قتيبي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،1987م، ط1، ص247.

16- المرجع نفسه، ص247.